العبادة والاستعانة

فضل سورة الفاتحة:

سأل رسول الله ﷺ «أُبَيَّ بن كعب»، وهو أحد الصحابة الأجلاء، وأحد كتاب الوحي، وحفظة القرآن الكريم، فقال: «يا أُبيّ، أتعلم ما هي أعظم سورة مما معك؟».

قال أبيٌّ رضي الله عنه: نعم يا رسول الله، سورة الفاتحة، فضرب رسول الله ﷺ صدر أُبيٍّ مهنئاً: «ليهنك العلم أبا المنذر».

لقد هنَّأ رسول الله ﷺ أُبَيَّ بن كعب على ما أعطاه الله من العلم بفضل سورة الفاتحة، والقرآن الكريم أُنزل على رسول الله ﷺ وهو أعلمنا بفضل كل سورة فيه، وهو معلمنا وقدوتنا.

أم القرآن:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56]، والعبادة لا تكون إلا بأداء الصلاة المكتوبة، والصلاة لا تتم إلا بالفاتحة.

روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ، قال: **«من صلَّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»** غير تمام.

الصلاة:

ولسورة الفاتحة أسماء عديدة أخرى، فقد أسماها الله عز وجلَّ في الحديث القدسي «الصلاة». فقد روى الترمذي والنسائي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا، يقول العبد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٢﴾﴾ يقول الله عز وجلّ: «حمدني عبدي»، يقول العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴿٣﴾﴾، يقول الله عز وجل: «أثنى علي عبدي» يقول العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴿٤﴾﴾، يقول الله عز وجل: «مجَّدني عبدي»، يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴿٥﴾﴾ «فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل» يقول العبد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴿٧﴾﴾ «فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل».

الراقية:

ومن أسماء سورة الفاتحة: «الراقية» أي الرقية التي يرقى بها المريض أو المصاب، فقد مرَّ جماعة من الصحابة بقبيلة من القبائل فطلبوا القرى، والقِرى طعام الضيف، فأبوا أن يقدموا إليهم شيئاً، لكنهم أخبروهم أن شيخ القبيلة لديغ، قد لدغته حيَّة

أو عقرب، وسألوا إن كان بينهم من يعرف رقية يرقيه بها؟ فقال أحدهم إنه سيرقيه وطلبوا منهم عدداً من الأغنام إن شفت الرقية شيخ القبيلة، فوافقوا على ذلك، ذهب الصحابي إلى اللديغ فرقاه بسورة الفاتحة، يقرأ وينفث في يده، ويمسح موضع اللدغة، فشفى الله الرجل ببركة سورة الفاتحة، فأخذوا الأغنام وساروا.

اعترض بعضهم على أخذ الأجر على الرقية فلم يمدوا إليها يداً حتى وصلوا إلى المدينة، وأخبروا رسول الله بخبرهم.

ابتسم رسول الله ﷺ وقال: «وما أدراكم أنها رقية؟» أي كيف علمتم أنها رقية؛ وسألوه عن الأغنام فقال: «اقسموها واضربوا لي معكم بسهم».

ولذلك يقرأ أحدنا الفاتحة وينفث في يديه ويمسح بهما وجهه رجاء بركتها.

يضع الإنسان كفيه مجتمعين أمام فمه ويقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 1 – 7] فإن كان مصاباً بالعين مسح بكفيه وجهه وإلا مسح بهما موضع الألم، ويكرر ذلك ثلاث مرات أو سبعاً فإذا الأذى قد زال بإذن الله، وقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن نقرأ مع

الفاتحة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين فإنه ما تعوَّذ متعوِّذ بمثلهما كما جاء في الحديث الشريف.

اذكروني أذكركم:

إن أحدنا ليسعد لو ذكر اسمه في مجلس حاكم أو كبير من الكبراء، أو في مجلس شخص من ذوي السلطان بخير، بل إن البعض يسعى إلى ذلك، ويوسِّط هذا وذاك طالباً منه ذكر اسمه، عساه ينال عطية أو تكريماً، ويعمل مجتهداً مجدّاً السنوات الطوال، ويتحمل المشاق والمتاعب ليصبح ممن يذكر اسمه، وهي مكانة فانية، قد ينالها اليوم لتزول غداً ويحلَّ غيره محلَّه، ولأن من كان يقدمه ويكرمه اليوم من ذوي السلطان فقد لا يكون كذلك غداً، والله سبحانه وتعالى يذكرنا أمام ملائكته عندما نقرأ الفاتحة في صلاتنا، فأي ذكر يعادل هذا الذكر، ويكرم الله عبده بقبول دعائه وإجابة طلبته، فهل من عطاء يعادل هذا العطاء؟

وقد قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]، وجاء في الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعالى يقول: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه**».

فأي حديث أعظم من حديث الله تعالى، والقرآن الكريم كلام الله تعالى لعباده، وكلام العبد لربه هو العبادة والصلاة، والصلاة لا تكون إلا بالفاتحة، فاتحة الكتاب، أم القرآن، الراقية

الشافية، الواقية للإنسان من الوقوع في الشرك ففيها الاستعانة بالله، والاستعانة بغير الله شرك، وهي الشفاء لما في الصدور.

بين الفاتحة ومواضيع القرآن الكريم:

لو سأل سائل عن مواضيع القرآن الكريم الرئيسية، لوجدنا أن العلماء قد سبقونا إلى ذلك فوجدوا أن المواضيع التي يتحدث عنها القرآن الكريم تنقسم إلى ثلاثة عناوين رئيسية هي: التوحيد والتشريع والقصص.

أولاً: التوحيد

كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1] و﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: 163]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6] و﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: 73] إلخ...

ثانياً: التشريع

كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 183] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: 9] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] و﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282] وغيرها من

الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ثم يلي ذلك أمر أو نهي.

ثالثاً: القَصَص

والقصص القرآني كثير مثال: قصة يوسف، وقصة إبراهيم، وقصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة أصحاب البقرة وقصة أصحاب الجنة إلخ. . . بالإضافة لقصص الأنبياء. هذه هي المواضيع الثلاثة للقرآن الكريم، وهناك سور كاملة لا تضم إلا موضوعاً واحداً.

سورة الإخلاص مثلاً، هي سورة خالصة للتوحيد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: 1 – 4].

سورة المسد هي سورة قصص ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: 1] فهي تقص علينا قصة أبي لهب وامرأته لأنهما كفرا بالله وآذيا رسول الله ﷺ. كما نجد سوراً تتحدث عن التشريع فقط كما في سورة النور؛ أما الفاتحة فقد ضمت مقاصد القرآن الكريم الثلاثة معاً.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ هذا تشريع وتوحيد فهو أمر أن نبدأ كل أمر بذكر الله تعالى، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ هذا توحيد، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ هنا، وفي البسملة توحيد واضح، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ توحيد أيضاً ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ فهذا دعاء وتشريع هو العبادة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ وهذا قصص الذين أنعم الله عليهم من المؤمنين، والمغضوب عليهم الذين عصوا الله فيما أمرهم واستكبروا وهم اليهود، والضالين الذين وقعوا في الشرك والعياذ بالله وجعلوا لله ولداً.

ولأن الفاتحة قد جمعت كل مواضيع القرآن الكريم سميت أم الكتاب.

القَصص:

لا بد أنك عزيزي القارىء قد لاحظت أننا وضعنا فتحة فوق القاف في كل مكان ذكرنا فيه هذه الكلمة، والقرآن الكريم قد ذكرها لنا بهذه الصيغة في قوله تعالى ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: 3]، فلماذا وردت بهذه الصيغة؟.

عندما يتوه شخص في البراري أو الصحراء نأتي بشخص يبحث عنه، هذا الشخص يسمى «القَصَّاص» أو «قصَّاص الأثر» وأول ما يبدأ به هو البحث عن آثاره ثم يتتبعها ليصل إلى الموضع الذي هو فيه، ومن يبحث في أمر يقص أثره أي يتتبعه ليصل إلى حقيقة الأمر، ولذلك قال تعالى في سورة الكهف ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ [الكهف: 64] أي مشوا على العلامات التي تركتها خطواتهما أثناء مسيرهما كي يعودا إلى الموضع الذي كانا فيه.

ولذلك قيل في القرآن «القَصص» وليس الحكايات لأنها تتبع لأخبار الذين مضوا من الناس، أما الحكاية فأصلها في المحاكاة كما قيل: **كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد**، فالمحاكاة هي التقليد.

العبادة:

نعود إلى ما ذكرناه أولاً وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56] صدق الله العظيم؛ وفي الفاتحة نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وما دمنا قد خُلِقنا لعبادة الله، وهو المعين لنا على هذه العبادة، ترى ما هي الفائدة لنا من هذه العبادة؟

هذا سؤال هام، فهذه العبادة لمصلحتنا نحن العباد، فبها نستحق الرحمة والمغفرة؛ فبالمغفرة يتجاوز الله عن سيئاتنا، وبالرحمة يثيبنا على أعمالنا أضعافاً مضاعفة؛ وبالمغفرة يطهرنا الله من ذنوبنا كما يُطهَّر الثوب الأبيض من الدنس، وبالرحمة ندخل الجنة.

أما العبادة أو العصيان في ذاته فلا ينفع الله بشيء ولا يضره بشيء، قال تعالى في الحديث القدسي: **«إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضرِّي فتضروني، يا عبادي إنما هي أعمالكم أوفِّيها إليكم»** فالإنسان إنما ينفع نفسه أو يضرها بعمله، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ

﴿لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: 46]. فالظلم إنما هو من الإنسان لنفسه، يظلمها بالمعصية فيستحق العقاب ويصرُّ على المعصية فيحرم نفسه من المغفرة، ويشرك بالله أو يكفر به فيحرم نفسه من الرحمة ويستحق العقاب. فمن يعيننا على الطاعة وترك المعصية.

لقد جاء ذلك واضحاً صريحاً ملخصاً في سورة الفاتحة في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

نسمعها فنوحد الله ونصلي على نبيه المصطفى؛ وننظر فيها فنرى أنها قد قسمت الناس إلى أربعة أصناف:

الأول: يعبد الله ويستعين به وهذا هو الموفق للطاعة المستحق للثواب، يؤدي ما عليه من فرائض وطاعات ثم يضيف إليها النوافل ليزيد في حسناته، وإذا ضاق به أمر، من أمور الحياة، من مرض أو فقر أو صعوبة من مصاعب الحياة المختلفة لجأ إلى الله وحده طالباً العون والمساعدة، وإذا أخطأ في أمر استغفر الله وإذا خاف من الزلل استعاذ بالله فاستحق المغفرة والثواب؛ فحياته كلها سعي لنيل رضا الله وثوابه.

الثاني: لا يعبد الله ثم يستعين به، فكيف يأمل أن يجاب دعاءه، وهذا منال عاصٍ قد غره بالله الغرور، يظن أن الإيمان كلام باللسان بلا عمل، وهذا يحتاج للإرشاد.

الثالث: يعبد الله ولا يستعين به، وهذا يظن أنه يدخل الجنة بعمله ويتجاوز عن الذنوب بعقله وفهمه، وهذا يحتاج إلى

الموعظة ليعلم أنه لا يقدر على شيء وحده فهو أعجز من أن يقدر على أمر دون الاستعانة بالله عز وجل؛ وهو يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ دون أن يفقه معناها.

الرابع: لا يعبد الله ولا يستعين به، وهذا كافر جاحد يسرع الخطى إلى جهنم وبئس المصير.

الاستعانة:

الاستعانة بالله تكون في كل أمر من أمور الحياة، والاستعاذة به من كل شر، استعانة لا غنى لنا عنها ولذلك جاء في سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: 1] ورب الفلق هو الذي يفلق الحبّة ويخرج منها النبتة، والبذرة لتخرج منها الشجرة والليل ليطلع منه النهار.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: 2] أي من شر كل ذي شر، سواء في ذلك ما عرفنا وما لم نعرف، ما نرى وما لا نرى، ففي المخلوقات ما هو مؤذ لنا ولا نراه، بل إن أذى ما لا نراه، أشد من أذى ما نراه، فالجراثيم والفيروسات أشد فتكاً وأشد خطراً على الإنسان من سباع البر، ولولا ما خلقه الله داخلنا من جهاز مناعة يرد عنا هجمات كثيرة من هذه الكائنات لما بقي أحد حيّاً على الأرض.

والجنين وهو الأضعف والأشد تعرضاً لهجمات هذه الكائنات قد جعله الله في ظلمات ثلاث تحميه، فالسائل الذي

يسبح فيه يرد عنه الصدمات أثناء حركة الأم والغلاف الذي ينمو داخله يرد عنه هجمات البكتيريا وغيرها، والرحم يحفظه لساعة الولادة، وقد يسر الله له رزقه في بطن أمه، من حبل سري يتغذى بواسطته فينمو على ما تأكل وتشرب، ويتنفس بالهواء الذي تتنفسه، ثم يخرج منها في وقت قدَّره الله له ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: 78]، فهو سبحانه الذي أوحى لكل خلية من خلايانا كيف تنمو وتتكاثر وتعيش ثم تتكسر ليحل غيرها محلها، فالعظام تأخذ الكلسيوم من الدم والعضلات تأخذ البروتينات إلخ... يوجهها كلها في ذلك أمر كوني يحفظ الإنسان والأرض والكواكب والنجوم والشُّهب كل في موضع لا يتجاوزه إلا بتقدير الخالق سبحانه.

يخرج الطفل من الرحم صارخاً كي تمتلأ رئتاه بالهواء قابضاً يداه يأمل الحياة ويتمسك بها، ثم ينمو ويكبر إلى أجل مسمى حتى يبلغ العمر الذي قدره الله له، ثم تغادره الروح إلى بارئها ويعود التراب إلى التراب إلى يوم الوقت المعلوم، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (17) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (18) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (19) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (21) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (23)﴾ [عبس: 17 – 23] فهل تأملت في ذلك؟ هل نظرت كيف بدأت وكيف ولدت وكيف صرت شاباً ثم رجلاً؟ هل نظرت إلى البذرة كيف انفلقت فصارت نبتة ثم نمت فصارت شجيرة ثم ارتفعت في الهواء فصارت شجرة تحمل الثمار التي

تمتلىء بالبذور، ويستظل الناس بظلها ثم تجف وتقطع وتصير حطباً للوقود بينما تنمو حياة جديدة من بذورها ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ [عبس: 24] من نبات الأرض وثمر الأشجار ولحم الحيوان وماء الينابيع والأنهار ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ [عبس: 25] وسقناه إلى الأرض فشرب منه الحيوان والإنسان والتربة ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: 26] فانفلقت عن البذور التي أخرجت جذوراً تمسك بالتربة وفرعاً يخرج إلى الهواء ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس: 27 - 31] فأخرج نبات كل شيء من بذوره بذرة صغيرة تخرج وريقة صغيرة ثم ترتفع فتصير نخلة نرفع أنظارنا لندرك أعلاها وشجرة مزدانة بالثمر وكروم عنب تتلألأ عناقيدها بالألوان المختلفة ونباتات نأكل منها وحشائش وكل هذا ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: 32]، فهل تجد من تعبده وتستعين غير الله عز وجل؟ وهل يقدر غيره على شيء من كل هذا؟

بين الولادة والموت:

يولد ابن آدم وكفاه منقبضان كأنما يقبض بهما على الدنيا فإذا خرج منها، خرج وكفاه مفتوحتان ليس فيهما من متاع الدنيا إلا ما قد يضعه الأهل من طيب الموتى.

يخرج من عز الدور والقصور إلى ظلمة القبر، وبعد الدفن يرجع الأهل والأصحاب مسرعين إلى ما ترك من مال ليقتسموه، أو جاه الدنيا ليستغلوه وإلى غرفته ليقيموا فيها ويبقى وحده مع ما قدَّم من عمل.

عندما يولد الطفل نؤذن في أذنه اليمنى ونقيم في أذنه اليسرى أما عندما يرحل فنصلي صلاة لا أذان لها ولا إقامة، وما بين الأذان الأول في أذنه، وصلاة الجنازة يعيش في هذه الدنيا الفانية ثم كما جاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 156] فوجودنا في هذه الدنيا وجود مؤقت، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنكم ستموتون كما تنامون وستبعثون كما تستيقظون، الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**» ولذلك يقال لابن آدم ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [قَ: 22]، كنت في غفلة عن الحساب والثواب والعقاب قد شغلتك الدنيا بزينتها وسلطانها وزخرفها، عشت في قصر فلم تفكر في القبر، عشت تحاسب الآخرين وتأمرهم فيطيعون ونسيت أنك صائر إلى حيث تُنَاقَشُ الحساب ولا من يدفع عنك، ويؤمر بك إلى النار فلا من يحميك ويجرك الزبانية إلى العذاب ولا تستطيع منهم امتناعاً.

قل للمريض نجا وعوفي بعدما

عجزت فنون الطب مَنْ عافاكا

قل للصحيح يموت ما من علة
مَنْ بالبلايا يا صحيح دهاكا
وسل الكفيف خطا بين الزحام
بلا اصطدام من ذا يقود خطاكا
وَسَلِ البصير وكان يحذر حفرة
فهوى بها من ذا الذي أهواكا
وسل بطون النحل كيف تقاطرت
عسلًا وقل للشهد من صَفَّاكا
وسل الثعبان يملأ فمه بالسمِّ
كيف تعيش والسم يملأ فاكا
بل سله يا ثعبان
من ذا بالسموم حشاكا
وسل الجنين يعيش معزولًا بلا
راع ولا مرعى من الذي يرعاكا
يا أيها الإنسان مهلًا واستعد
واشكر لربِّك فضل ما أولاكا

إذا مرضنا وافتقدنا الصحة فأنت الشافي، وإذا خسرنا وافتقدنا المال فأنت الرزَّاق؛ وإذا اغلقت كل الأبواب في وجوهنا فبابك مفتوح ولا ترد سائلاً ولا مستعيناً بك ف﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ لا يعرف قيمة ما منحتنا من صحة إلا من

افتقدها منّا، ولا قيمة الرزق إلا من عدمه، ولا قيمة الحياة إلا من افتقدها، قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد مات إلا ندم**» قالوا: وما ندمه يا رسول الله، قال: «**يندم المسيء على إساءته ويندم المحسن أنه لم يستزد من الإحسان**» فكل ساعة تمر على الإنسان لا يذكر فيها ربه يندم على إضاعتها.

عندما يأتي الملك إلى الجنين لينفخ فيه الروح يجيء إليه بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمره وشقي أو سعيد، ثم تتولاه الملائكة الحفظة بعد مولده حتى ينمو ويكبر ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ [النازعات: 1 – 5] كل هذه ملائكة تحيط بك وتدبر أمور حياتك وأنت لا تدري عنها شيئاً، هذه الملائكة تسمى المعقبات؛ يتعاقبون على حفظك بأمر الله عز وجل، ولو تأملت حياتك وفكرت في عدد المرات التي تعرضت فيها للموت وأنجاك الله، كم مرة كادت تدهسك سيارة وفي اللحظة الحاسمة أحسست كأن أحداً أرجعك إلى الخلف أو كدت تقع من مكان مرتفع ثم رأيت نفسك تجد ما تستند إليه، ولو كنت في موضع فيه حرب لرأيت كم رصاصة ابتعدت عنك، وكم قذيفة أخطأتك إلخ. . . .

وإن كنت مريضاً ودخلت إلى المستشفى لإجراء عملية خطيرة وأنجاك منها الله وشفاك.

وإذا انقضى أجلك وجاءك ملك الموت وجدت الله سبحانه وتعالى يخاطبك في كتابه العزيز.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى (٢٩) وَٱدْخُلِى جَنَّتِى (٣٠)﴾ [الفجر: 28 - 30] فهل تجد من يعينك غير الله.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾.